

لا يسوغ للرجل أن يفقد خلقه مع من لا خلق له وأن يشغل نفسه بتأديب كل جهول

شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه



■ تحريم الجدل

وسد أبوابه حقاً كان

أوباطلاً من الضمانات

التي اتخذها الإسلام

لصيانة الكلام عن

النزق والهوى

■ هناك أناس أوتوا

بسطة في أسنتهم

تغريهم بالاشتباك

مع العالم والجاهل

فإذا سلطوا على

شؤون الناس أسأؤوا

وعلى حقائق الدين

شؤموها

وقف رجل من الجاهل أمام بيت الرسول يريد الدخول، فرأى النبي أن يحاسبه حتى صرفة، ولم يكن من ذلك بد فالحلم فدام السفيه ولو تركه يسكب ما في طبيعته اللفلة لسمع ما تنتزه عنه أذناه! وعن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ييش أخو العشيبة هو» فلما دخل انبسط إليه وألان له القول فلما خرج قلت: يا رسول الله، حين سمعت الرجل قلت كذا وكذا، ثم نطقت في وجهه وانبسطت إليه! فقال: يا عائشة مني عهدتي فأحشأ! إن من شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة: من تركه الناس اتقاء فحشه». وهذا مسلك تشبيهه التجارب، فإن الرجل لا يسوغ أن يفقد خلقه مع من لا خلق له. ولو أنه شغل بتأديب كل جهول بلباقه لأعبته الجدل من كثرة ما سوف يلقي، ولذلك عد القرآن الكريم في أوائل الصفات التي يتحلى بها عباد الرحمن، هذه الإدارة العاصية: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً». وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نمتلي الجاهلين». وقد يكلم الإنسان غيظه مرة أو مرتين ثم ينفجر.

بيد أن المطلوب من المسلم الفاضل، أن يتناول الآتي أكثر من ذلك حتى لا يدع الشر يسيطر على الموقف آخر الأمر، عن سعيد بن المسيب قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وقع رجل بابي بكر، فأنه، فصمت عنه أبو بكر، ثم أذاه الثانية فصمت عنه، ثم أذاه الثالثة فرد عليه أبو بكر، فأنصرف فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم. فقال أبو بكر: أوجدت علي يا رسول الله؟ قال: لا، ولكن نزل ملك من السماء يكتبه بما قال، فلما انتصرت، ذهب الملك، وقعد الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ قعد الشيطان». أو كما قال صلى الله عليه وسلم ومدارة السفهاء لا تغني قبول الدين، فالفرق بين الحاليين بعيداً الأولى ضبط النفس أمام عوامل الاستفزاز، ومنعها طوعاً أو كرهاً من أن تستجيبها دواعي الغضب وإدراك النار، أما الأخرى فهي بلادة النفس، واستكانتها إلى الهوى! وقبولها ما لا يرضى به ذو عقل أو مروءة. وقد أعلن القرآن محبته مداراة السفهاء وكراهيته لقبول الدنيا: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً، إن تبدأوا خيراً أو تخفوها أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً».

ومن الضمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة الكلام عن النزق والهوى تحريم الجدل! وسد أبوابه، حقاً كان أو باطلاً، ذلك أن هناك أحوالاً تستدب بالنفس، وتغري بالغبالية، وتجعل للراء يناوش غيره بالحديث، ويصيد الشبهات التي تدعج جانبها، والعبارات التي تروج حجتها، فيكون حب الانتصار عنده أهم من إظهار الحق، وتبرز طبائع العناد والأثرة في صور متكررة، لا يبقى معها مكان للتيقن أو طمأنينة! والإسلام يفر من هذه الأحوال ويعدها خطراً على الدين والفضيلة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ترك لمرء وهو مطبل بني له بيت في ريش الجنة، ومن تركه وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها».

وهناك أناس أوتوا بسطة في السننهم، تغريهم بالاشتباك

مع العالم والجاهل، وتجعل الكلام لديهم شهوة غالية، فهم لا يملونه أبداً. وهذا الصنف إذا سلط ذلاقته على شؤون الناس أساء، وإذا سلطها على حقائق الدين شوه جمالها وأضاع هيبتها، وقد سقط الإسلام أشد السخط على هذا الفريق الثرثار المتكبر. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن أبيض الرجال إلى الله الألد الخصم». وقال: «ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أولوا الجدل». هذا الصنف لا يقف ببسطة لسانه عند حد، إنه يريد الكلام فحسب، يريد أن يباهي به ويستطيل، إن الألفاظ تأتي في المرتبة الأولى، والمعاني في المرتبة الثانية، أما الغرض النبيل، فربما كان له موضوع أخير، وربما عُر له موضع، وسط هذا الصنف. ولقد حدث أن واحداً من أولئك الأغراب وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم «...عليه شارة حسنة فجعل النبي لا يتكلم بكلام إلا كلفته نفسه أن يائي بكلام يعلو كلام النبي صلى الله عليه وسلم! فلما انصرف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يحب هذا وأضرابه، يلون السننهم للناس لي يفرق بلسانها للرعي، كذلك يلوي الله تعالى السننهم ووجههم في النار». والجدال في الدين، والجدال في السياسة، والجدال في العلوم والآداب، عندما يتصدى له هذا النفر من الأعداء البليغ، يفسد به الدين، وتفسد السياسة والعلوم والآداب، ولعل السبب في الانهيار العمراني، والتحرز الفقهي، والانقسام الطائفي، وغير ذلك ما أصاب الأمة الإسلامية، هو هذا الجدل الملعون في حقائق الدين، وشؤون الحياة، والجدل أبعد شيء عن البحث النزيه والاستدلال الموضوع.

أساليب المشركين في محاربة دعوة الإسلام

محاولات قريش لإبعاد أبي طالب عن حماية النبي صلى الله عليه وسلم

تداعت قريش غلها ولثمينا علينا فلم تغفر وطاشت حلومها وكنا قديماً لا نفر ظلامه إذا ما كنوا يصغر الخدود نعيمها وحين حاول أبو جهل أن يخفر جوار أبي طالب تصدى له حمزة، فسلحه بقوسه، وقال له: تسلتم محمداً وأنا على دينه، فرد ذلك إن استطعت.

إنها ظاهرة فذة أن تقوم الجاهلية بحماية من يسب آلهتها، ويعيب دينها. ويسفه أحلامها، وباسم هذه القيم يقدمون المهج والأرواح، ويخوضون المعارك والحروب، ولا يمتسح محمد صلى الله عليه وسلم يسوء. ولما خشى أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعود فيها بحرمة مكة، وبمكانته منها، وتود فيها إشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره أنه غير متمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

ولما رايت القوم لا ود فهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمر العدو المزايل وقد قالوا لو ما علينا أفتة يعضون لغلظا خلفنا بالأنامل صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض غضب من ترات المقاول وأخضرت عند البيت رحلي وإخوتي وأمسكت من أتوايه بالوصلات وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمداً ولو سالت الدماء أنهاراً واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كذبتم وبيت الله نثرى محمداً ولما طاعن دونه وثناضل وتسلمه حتى نصرح حوله ونذل عن أبنائنا والحلائل وينض قوم في الحديد البكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل وفرع زعماء بني عبد مناف باسمائهم لخذلائهم إياه، فطعته بن ربيعة يقول: فعتقة لا تسع بنا قول كاشح حسود كذوب ميفض ذي دغاول ولأبي سفيان بن حرب يقول: ومر أبو سفيان عني معرضاً وللمطعم بن عدي سيد بني نوقل يقول: أمطعم لم أخذك في يوم نجدة ولا معظم عند الأمور الجلائل أمطعم إن القوم ساموك خطه وإني متى أوكل فست بوائل جزى الله عنا عيد شمس ونؤفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل

لقد كان كسب النبي صلى الله عليه وسلم

عنه في صف الدفاع عنه، نصراً عظيماً، وقد

استفاد صلى الله عليه وسلم من العرف القبلي

قمتنع بحماية العشيرة، ومنع من أي اعتداء

يلغ عليه، وأعطى حرية التحرك والتفكير،

وهذا يدل على فهم النبي صلى الله عليه وسلم

للوامع الذي يتحرك فيه، وفي ذلك درس بالغ

للدعاة إلى الله تعالى، للتعامل مع بيئتهم

ومجتمعاتهم والاستفادة من القوانين والأعراف

والثقافات لخدمة دين الله.

من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم



وعليهم أجمعين الفضل الصلاة وأزكى السلام، مما لم يكن يعلم تفصيله أحد من الناس في زمن الوحي.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن الكريم في منهجه التربوي الفريد وأطره النفسية السامية والعلمية في نفس الوقت والناطقة على مر الأيام، أو في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشارته إلى العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يصل إلى شيء من معرفته وقت نزول القرآن الكريم ولا لمئات السنين من بعد ذلك.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن في صموده أمام كل محاولات التحريف التي قامت بها قوى الشر المتعددة متمثلة في الكفرة والمشركين والملاحدة المتنكسين على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية وذلك لأن الله تعالى قد تعهد بحفظه بعهد الذي قطع - سبحانه وتعالى - على ذاته العلية ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً، وذلك بقوله العزيز: «أنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَأَنَا لَهُ الْخَافِظُونَ» (الحجر: 9). ومن العلماء من يرى إعجاز القرآن الكريم في ذلك كله وفي غيره مما يعصر الحديث عنه فهناك الإعجاز اللغوي، البياني، النظمي، والإعجاز العددي والتعدي والأخلاقي، والتشريعي، وهناك الإعجاز التاريخي، والتربوي، والنفسي، والاقتصادي، والآباري، والإعلامي، وهناك الإعجاز العلمي والتقني، والإعجاز العددي (الرقمي) الحسابي، وإعجاز التحدي الذي لم يجب ولن يجب إلى قيام الساعة، والإعجاز الحفظي، وغير ذلك كثير.